قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس Bه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى ا D فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى : { ففزع منهم } إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما وقوله D : { وعزني في الخطاب } أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى : { وظن داود أنما فتناه } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس Bهما أي اختبرناه وقوله تعالى { وخر راكعا } أي ساجدا { وأناب } ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر أنه استمر ساجدا أربعين صباحا { فغفرنا له ذلك } أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وقد اختلف الأئمة في سجدة { ص } هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الجديد من مذهب الشافعي Bه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس Bهما أنه قال السجدة في { ص } ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يسجد فيها ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضا عند تفسير هذه الاية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمرو بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس Bهما قال : إن النبي صلى ا عليه وسلّم سجد في { ص } وقال : [سجدها داود E توبة ونسجدها شكرا] تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات .

وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو إسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحامي أخبرنا أبو سعيد الكنجدروذي أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد ا حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد ا بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد ا بن أبي يزيد عن ابن عباس Bهما قال جاء رجل إلى النبي صلى ا عليه وسلّم فقال يا رسول ا إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة :

اللهم اكتب لي عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع بها عني وزرا واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود .

قال ابن عباس Bهما فرأيت النبي صلى ا عليه وسلّم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة رواه الترمذي عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال البخاري عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد ا حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة { ص } فقال : سألت ابن عباس Bهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ { ومن ذريته داود وسليمان } { أولئك الذين هدى ا فبهداهم اقتده } فكان داود E ممن أمر نبيكم صلى ا عليه وسلّم أن يقتدي به فسجدها داود E فسجدها رسول ا صلى ا عليه وسلّم .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد ا المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري Bه رأى رؤيا أنه يكتب { ص } فلما بلغ إلى الاية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال فقصها على النبي صلى ا عليه وسلّم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد ا بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري Bه قال : قرأ رسول ا صلى ا عليه وسلّم وهو على المنبر { ص } فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال صلى ا عليه وسلّم : [إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشرفتم] فنزل وسجد وتفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيحين .

وقوله تعالى : { وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب } أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه ا D بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لتوبته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح [المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا] وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [إن أحب الناس إلى ا يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس إلى ا يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر] ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الأغر عن عطية به وقال لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد ا بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله تعالى : { وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب } قال يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته ؟ فيقول ا D

إني أرده عليك اليوم قال فيرفع داود E بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان